مستوطنات زراعية لهم في اماكن مختلفة في فلسطين . ولكن لم يمر اكثر من عامين على بداية مشاريع الاستيطان هذه ، التي تعتبر بمثابة نقطة انطلاق للنشاط الصهيوني على ارض فلسطين ، حتى كانت الحركة التي دعمت اولئك المستوطنين وتأسست مع بداية موجة الهجرة اليهودية من روسيا — حركة هواة ( او احبـاء ) صهيون — تعلن عن افلاسها ، بحيث اضطر المستوطنون الى الاستنجاد بالبارون روتشيلد في باريس وطلب مساعدته ، فاستجاب لنداءات الاستغاثة التي وجهت له واعلن عن تبنيه لهم . وخلال الفترة التي عمل روتشيلد فيها في فلسطين ، اي منذ مطلع الثمانينات وحتى نهاية القرن الماضي ، استطاع شراء مساحات لا بأس بها من الاراضي الزراعية لصالح المستوطنين ، تقدر ببضعة مئات الالاف من الدونمات ، معظمها من عائلات اقطاعية كبيرة — بعضها كان يسكن خارج فلسطين — وساهم في انشاء المستوطنات ، التي وصل عددها مع مطلع القرن الحالي الى نحو ٢٠ مستوطنة .

رغم المكاسب الاستيطانية التي حققها البارون روتشيلد وحركة هواة صهيـون في فلسطين ايام الهجرة الاولى ، يجمع مؤرخو الصهيونية عـلى ان تلك التجربة انتهت بالفشل . ويرى اولئك المؤرخون ان اسبـاب ذلك الفشل تعود اساسا الى اعتمـاد المستوطنين على العمال العرب في ادارة شؤونهم — وبهذا تظهر الملامح الاولية للسياسة العنصرية الصهيونية — حيث اضطروا ، بسبب قلة خبرتهم في شؤون الزراعة وغربتهم عن البيئة التي انتقلوا اليها ، الى تشغيل العمال العرب لديهم « وتناسوا » ضائقـة اخوانهم خارج فلسطين ومهمتهم في « تحقيق الصهيونية » وتنفيذ الدور الطليعي الذي اوكل لهم لخلق اوضاع مناسبة في فلسطين لاستيعاب المزيد من المهاجرين اليها . ولكن الحقيقة تختلف عن هذا التقييم ، اذ ان ما حدث فعلا يتلخص في ان اولئك المستوطنين ، الذين حصلوا على الارض والمعدات الزراعية مجانا ، وحصلوا كذلك على اعـانات مالية شهرية ثابتة من صندوق البارون روتشيلد او حركة هواة صهيـون ، لم يجدوا طريقة اسهل لتأمين عيشهم من استغلال العمال العرب ، الذين كانوا يعيشون اساسا على الاراضي التي سلمت لاولئك المستوطنين . ولم يمر وقت طويل حتى كـانت مئات العائلات العربية تعمل بأسرها لدى المستوطنين الجـدد ، بعـد ان انتقلت للسكن في المستوطنات او بجوارها ، بحيث يعمل رجال العائلة في حقول المستوطن ونساؤها في خدمة بيته . وعدا عن اوضاع الاستغلال هذه التي عاشها العمال العرب ، تعرضوا ايضا للاهانات وسوء المعاملة من قبل المستوطنين . ويصف آحاد هعام ، احد كبـار الفلاسفة الصهيونيين — اليهود ، الذي كان قد انتدب في حينه للتحقيق في اوضاع تلك المستوطنات ، هذه المعاملة بقوله ان المستوطنين « يتعاملون مع العرب بعداء وقسوة ، يعتدون عليهم دون مبرر ويضربونهم باحتـقار دون سبب » . ويضيف آحاد هعـام محذرا : « ساد لدينا الاعتقاد خارج البلد بان العرب جميعهم متوحشون صحراويون ، شعب يشبه الحمير ، لا يرون ولا يفهمون ما يدور حولهم . ولكن هذا خطأ كبير ... ان العرب ، وخاصة سكان المدن ، يرون ويفهمون نشاطنا واهدافنا في البلد ، ولكنهم يسكتون ويتظاهرون بانهم لا يعلمون ، لانهم لا يرون في اعمالنا حتى الآن خطرا عـلى مستقبلهم ... ولكن اذا جاء وقت ، يتطور فيه نشاط ابنـاء شعبنـا الى حد سحب البساط من تحت ارجلهم ، قليلا او كثيرا ، فان هؤلاء لن يتحركوا بسهولة من اماكنهم . » والواضح ان آحاد هعام صدق في نبوءته — تحذيره هذا .

**هرتسل : « طلائع حراس المدنيـة ضد البربرية »**

في الوقت الذي كانت فيه تجربة الاستيطان الصهيوني الاولى في فلسطين تصل الى